الرابطة

لا إله إلا الله محمد رسول الله

ARRABITA

منذ فجر التاريخ :

اليهود في كهف الإرهاب الدولي

د. العبيد :

على الدعاة التمسك بمنهج الحكمة والموعظة الحسنة والبعد عن الغلو والتطرف

د. محمود زقزوق :

الإسلام دين العولمة الحقيقية ولا مجال للرفض والانعزال

بسبب الفوضى الاجتماعية ١٠٠ مليون طفل في الشوارع

العدد ٤١٥ - السنة ٣٧ - جمادى الأولى ١٤٢٦هـ - ديسمبر / يناير ٢٠٠٥م

الإسلام والمسلمون في الصين

اعداد :
محمود رمضان محمد

ورد أول ذكر للإسلام في الصين أيام أسرة تانج (٦١٨-٩٠٧م) كما جاء في كتاب «تاريخ الحدود الغربية» وكان سكان الصين آنذاك يسمون المسلمين الأوائل «هوى» ويقولون إنهم جاءوا من بلدة اسمها (تشي كوي) أي الجزيرة العربية.

وتؤكد الأخبار التاريخية أن الصينيين كان لهم معرفة جيدة بالإسلام بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بنحو خمس سنوات، ومن المعروف أن الإسلام انتشر في الصين بداية من القرنين السابع والثامن الميلادي، عبر الطريق البحري والطريق البري المسمى بطريق الحرير.

السجلات الصينية

وتذكر السجلات الصينية أنه في ٢٥ اغسطس سنة ٦٥١ وصل إلى تشانجان (شيان) اليوم وعاصمة الصين آنذاك أو مندوب عربي، مبعوثاً من الخليفة عثمان بن عفان، حيث التقى مع امبراطور الصين، والمصادر الصينية لم تذكر الأسباب التي دعت الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى إرسال وفد للقاء الأمبراطور

القصة الحقيقية

وحقيقة القصة أنه بعد هزيمة الفرس والروم على أيدي المسلمين فإن كليهما أرسل إلى ملك الصين يستغيث به، ويهول في خطر قوة المسلمين الصاعدة مدعياً أنهم سوف يسيطرون على طريق التجارة - الذي يهم الصين - ويذكرون أن ملك الفرس (يزد جرد) أوفد بعد هزيمته في معركة نهاوند مبعوثه إلى ملك الصين للاستعانة به على المسلمين، لكنه اعتذر عن مد يد المساعدة له ، ثم أرسل مبعوثيه إلى خليفة المسلمين للتعرف على حقيقة هذه القوة الجديدة والصاعدة في الجزيرة العربية، الأمر الذي دعا عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أن يوفد من جانبه أيضاً مبعوثين إلى ملك الصين رداً على تلك المبادرة.

أول البعثات

ومن المؤكد أن أول البعثات الإسلامية التي ذهبت إلى الصين كانت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنها أقامت علاقات طيبة مع ملك الصين (تانغ) ومنذ ذلك الحين بدأ الإسلام ينتشر في ربوع الصين عن طريق المسلمين الذين استقروا فيها وتزوجوا من أهلها واشتغلوا في التجارة.

معركة طلاس

بعد أن أحتل الوليد بن عبدالملك مدينة (كاشغر) سنة ٧١٤م الواقعة في الحدود الصينية الغربية، وذلك بعد أن فتح بخاري وسمرقند، وتوقف لظروف سياسية في الخلافة ولكن في عام ٧٥١م اشتبك المسلمون مع الجيش الإسلامي وأسروا عشرين ألفاً من جنود الجيش الصيني وكان من بينهم أصحاب حرف، فانتشرت صناعة الورق في سمرقند وانتقلت إلى دمشق بعد ذلك.

إزدهار الإسلام

ولم ينته عصر الدولة العباسية حتى كان للإسلام شأن عظيم في جميع أنحاء الصين ففي عام ٧٥٧م، قامت ثورة في جميع البلاد الصينية وأمتد لهيبها حتى أستفحل أمرها، واضطر امبراطور الصين أن يطلب من الخيلفة العباسي (أبي جعفر المنصور) مساعدته، فأرسل إليه جيشاً تمكن من إخماد الفتنة وإعادة السكينة إلى البلاد.

وبعد ذلك أرسل هارون الرشيد وفوداً إلى الامبراطور ستوتسنغ فقابلها بالحفاوة وكان من مساعي هذه الوفود أن ذهب العرب والفرس إلى البلاد الصينية للتجارة، واستقروا في مدينة (كانتون) ونشروا الإسلام في هذه البقاع، ولم يجد الإسلام في هذه العصور نصيرا ولا معاكساً من ملوك الصين حتى أتت دولة المغول وأرتقى الامبراطور (قوبالي خان) العرش، فاعتنق الإسلام هو وكثير من أمراء المغول وكانوا للإسلام خير معين.

أرقى المناصب

وقام قوبلاي بتعيين المسلمين في أرقى المناصب، فجعل على رأس حكومته الوزير المسلم (أحمد البناكي)، وجعل مستشاره الخاص من المسلمين وهو (السيد عمر بن شمس الدين) وشهرته (السيد الأجل) وكان له خمسة أبناء ارتقوا على المناصب وبسبب نفوذهم أسلم كثير من الصينيين

في العهد المغولي.

وقد مثلت ذرية السيد الأجل دوراً هاماً في توطيد دعائم الإسلام في الصين فكان حفيده الذي حصل من الأمبراطور في سنة ١٣٣٥م على الاعتراف بأن الإسلام (هو الدين الحق الخالص).

وأذن الامبراطور في سنة ١٤٢٠م لشخص آخر من سلالة السيد الأجل بأن يبني مساجد في العاصمة ستيغانفو SI NGAN FO ونانكن NAN KIN.

ويقول مؤرخ معاصر (ماركوبولو) إنه في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، كان جميع سكان تاليفو حاضرة يونان من المسلمين.

كما قدم إليه مؤسس دولة منج وهو الامبراطور (هنج وو) كثيراً من الامتيازات، وتدل كثرة المساجد التي بنيت على انتعاشهم خلال الفترة التي قضتها هذه الدولة في الحكم (١٣٦٨ -١٦٤٤م).

لقد أقام ملوك أسرة هنج وو علاقات طيبة مع الأمراء المسلمين الذين يحكمون الدول والمقاطعات غربي الصين وأكثروا من تبادل السفراء مع الأمراء التيموريين، وقد انتهز أحدهم - الشاه رخ بهادر - فرصة قدوم أحد السفراء الصينيين للقائه سنة ١٤١٢م في قصره بسمرقند، وبعث برسالتين بالعربية والفارسية إلى ملك الصين يدعوه فيها إلى اعتناق الإسلام وتطبيق شريعة الله.

وقد نشر الرسالتين عبدالرازق السمرقندي في مؤلفه (مطلع السعدين ومجمع البحرين) ونقلها توماس ارنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام).

ثورات متتالية

وخلال مائة سنة (١٧٥٨-١٨٧٣م) انفجرت خمس ثورات كبرى لمسلمي الصين نذكر منها.

١ - سنة ١٧٥٨م إندلعت ثورة المسلمين في ولاية قانصو بقيادة سوسي سان، وسجل تاريخها في ٢٠ جزءا من الكتب الرسمية لمؤرخي اباطرة الصين.

٢ - في مقاطعة سينكيا شبت ثورة جنفخ، واستمرت سنتين (١٨٢٥-١٨٢٧م) وصدر في تاريخ وقائعها ٨٠جزءاً.

٣ - في سنة ١٨٥٥م انفجرت الثورة في مقاطعة (يونان) بقيادة دووين سياو، واستمرت ١٨ عاماً، وسجلت في ٥٠ جزءاً.

٤ - وفي السنة ذاتها ١٨٥٥م اندلع لهيب الثورة في مقاطعات سنكيانج وقانصو وشانسي واستمرت هذه الثورة بقيادة يعقوب بك، طوال ٢٠ عاماً وقد سجلت أحداثها في ٣٣٠ جزءاً.

مذابح عديدة

تعرض المسلمون في الصين لمذابح بشعة، أولها عصر أسرة المانشو (١٦٤٤-١٩١١م) حيث قتل المانشو عشرة ملايين مسلم من الشمال والشمال الغربي، وعندما ثار المسلمون أبادت قوات المانشو مقاطعات بأكملها.

وفي عام ١٩٥٧م قام المسلمون في مقاطعتي قانصو وليشيا بثورة مسلحة ضد فساد حكم شيانج كاي شيك، راح ضحيتها نحو عشرة آلاف مسلم، وأحرقوا منازلهم.

وفي مقاطعتي هيوان وكوبوان سنة ١٩٣٠م و ١٩٤١م عندما طالب المسلمون بحقهم في الحياة، ذبحوا كالخراف، بل وصلت وحشية رجال الكو منتابخ أن اجبر بعض المسلمين في الجيش على أن يقوموا هم انفسهم بعذه العمليات الوحشية ضد إخوانهم المسلمين.

القمع والاضطهاد

لم يكتف النظام الصيني بالمذابح الجماعية للمسلمين، ولكن تفنن في أساليب القمع والاضطهاد.

في عام ١٩٥٨م حدث في الصين ما سمي (بالقفزة الكبرى) حيث تم إنشاء الكوميونات الشعبية لإحكام الهيمنة على النظام الاقتصادي، وتم توزيع العاملين كل حسب تخصصه، الأمر الذي أدى إلى دفع معظم رجال الدين إلى الحقول والمصانع بدون مقدمات، ثم أغلق معهد بكين الإسلامي بعد افتتاحه بأربع سنوات وكان له دور كبير في إعداد الكوادر الإسلامية التي تقوم بمهام الإمامة والوعظ، ثم توقفت مجلة (المسلمون في الصين)، وبعدها وفي عام ١٩٦٣م توقف سفر بعثات الحج.

الثورة الثقافية

لقد كانت بداية الستينيات التي حدث فيها ما يسمى بالثورة الثقافية داخل الصين مرحلة قمع واضطهاد لكل المسلمين داخل الصين، فتم إحراق مئات الكتب الإسلامية المخطوطة، واغلقت جميع المساجد خارج بكين وهدم بعضها والبعض تحول إلى مخازن، وبقي مسجد واحد في بكين ليصلي في الدبلوماسيون المسلمون، وأدى هذا القمع إلى احجام الناس على الصلاة خارج البيت.

لقد نال المسلمون على أيدي قوات الحرس الأحمر العديد من ألوان القمع، فالغيت عطلات الأعياد الإسلامية حتى لا يتعطل الانتاج ومنع المسلمون في بعض المقاطعات من استخدام اللغة العربية ومن إرتداء ملابسهم القومية ودعت الثورة الثقافية إلى إحراق جثث موتى المسلمين أسوة بغيرهم من الصينيين.

وأستمرت معاناة المسلمين عشر سنوات (١٩٦٦-١٩٧٦م) لاقوا خلالها صنوفا من التعذيب والإبادة الجماعية والإضطهاد، حتى أن إحدى الصحف نشرت صوراً لهرم ضخم من جماجم وجثث القتلى من المسلمين التي أبادتهم عصابة الحرس الحمر.

الفقهاء الأربعة

لقد كانت الفترة ما بين عامي (١٩٠٠-١٩٤٩م) فترة نهضة إسلامية داخل الصين فقد تزايد عدد المدارس والمعاهد،

وبدأت صلاتهم بالعالم الإسلامي تتجدد، وفي الوقت نفسه طبع المصحف الشريف ٤مرات، وأفرزت هذه الفترة عدداً من العلماء كان لهم دور حيوي وجهود مضنية من أجل تعريف مسلمي الصين بدينهم الصحيح ونذكر منهم:

١ - الشيخ وانغ جينغ تشاي المتوفي عشية التحرير وكان معلماً وإماماً وصاحب مجلة (نور الإسلام) وترجم القرآن الكريم وطبع عام ١٩٤٥م، وله كتاب العمدة وهو الكتاب الفقهي الشائع في الصين، والقاموس العربي الصيني بالإضافة إلى ديوان شعر.

٢ - الشيخ محمد تواضع يانغ شي تشيان المتوفي سنة ١٩٥٨م ويعتبر أول من جلب حروف الطباعة العربية إلى الصين وألف كتاباً بعنوان (ذكريات تسع سنوات في مصر) وترجم عدة كتب منها رسالة الإسلام ومذاهب الدين الإسلامي.

٣- الشيخ ماليانج جيون المتوفي سنة ١٩٥٧م، ويعتبرونه إمام الأئمة، وكان يواظب على تاليف وترجمة الكتب الدينية باللغات الصينية والعربية والفارسية.

٤ - الاستاذ محمد مكين عضو أول بعثة درست في الخارج وكان يعمل بجامعة بكين حتى توفاه الله عام ١٩٧٨م ومن مؤلفاته (سيف الله محمد صلى الله عليه وسلم) و (موجز شرح القرآن) ومن ترجماته: (رسالة التوحيد) و (حقيقة الدين الإسلامي) و (تاريخ علم الكلام) و (تاريخ التعليم الإسلامي) و (منهاج التقويم الهجري).... إلخ.

مرحلة جديدة

بعد وفاة ماو رئيس الصين عام ١٩٨٦م وما أعقبه من صراع على السلطة، أنتهى بسحق عصابة الأربعة بزعامة أرملة ماو، وبذلك بدأت في مرحلة جديدة، تسمح وتعترف بالاعتقاد الديني كما جاء في القانون ووجد المسلمون إنفراجة ففتحت بعض مساجدهم وأخذوا وعداً بفتح المعهد الإسلامي، وإعادة إصدار مجلة (المسلمون في الصين) وطبع القرآن الكريم، وإيفاد بعثات الحج، وانفتحت الصين على الدول العربية وبدأ المسلمون في الصين يمارسون حياتهم الطبيعية، وتأسست الجمعيات والمعاهد الإسلامية وأنتشرت المساجد في ربوع الصين، ومارس المسلمون عباداتهم، واحتفلوا بأعيادهم.

الجمعية الإسلامية

تأسست الجمعية الإسلامية الصينية في بكين عام ١٩٣٥م وتوقفت عام ٦٣م ثم عاودت نشاطها عام ١٩٨٠م، ومارست نشاطها بجدية وتحفز، فقامت بطبع آلاف من النسخ من ترجمعة معاني القرآن الكريم التي أعدها الشيخ محمد مكين، كما أنشأت الجمعية العديد من معاهد تدريب أئمة المساجد والدعاة، وتقوم بتسيير قوافل التوعية الدينية لنشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة في جميع المدن والقرى الصينية والأشتراك في المؤتمرات الإسلامية التي تعقد في بلدان العالم، وقد نجحت الجمعية في الحصول على منح دراسية في الجامعات الإسلامية توفد إليها طلاب العلم الإسلامي.

كما أسست الجمعية في بكين تسعة معاهد تقبل الطلاب الذين أتموا الدراسة الثانوية الإسلامية، وقد أستقر الرأي لتحويل هذه المعاهد إلى جامعة إسلامية معاصرة في الصين لتخريج الدعاة وأئمة المساجد والمعلمين.

كما تصدر الجمعية مجلة (لسان الحق).

نشاط مكثف

وتنتشر الروابط والمنظمات وفروعها في أنحاء الصين وتقوم بدور حيوي في نشر الإسلام وتعريف المسلمين بالدين الصحيح وتقديم المساعدة بشتى الطرق، في تايوان وحدها بالإضافة إلى الجمعية الإسلامية الصينية يوجد (رابطة الشبان المسلمين) ويوجد صندوق الثقافة والتعليم الصيني، وفرع لرابطة العالم الإسلامي، وجمعية المسلمين الصينيين فيما وراء البحار (تايلاند وبورما) ودار الثقافة الإسلامية.

المساجد في الصين

يوجد في الصين أكثر من ٢٤٠٠٠ أربعة وعشرين ألف مسجد وربما أكثر من ذلك، تشرف عليها الجمعية الإسلامية، وقد ساهمت الحكومة الصينية في بناء بعض المساجد الأثرية من ميزانية مصلحة شؤون الأديان ، ففي عام ١٩٩٢م بنت المصلحة مسجد شينغ داو بحي السلام بمدينة تيانجين بتكلفة بلغت أربعة ونصف مليون ايوان صيني.

٢٠ مليون مسلم

عدد المسلمين في الصين يقدر بنحو ٢٠ مليون نسمة تقريباً بنسبة واحد ونصف في المائة من السكان وهو منشرون في كافة مقاطعات الصين، وعدد الأعضاء الذين يمثلون المسلمين في البرلمان الصيني ٩٧ عضواً وفي مجلس الشورى ٤٦.

وهم بذلك يمثلون في المجلسين نسبة ٣,٣ ٪.هذه مجرد إطلالة سريعة على تاريخ الإسلام في الصين الزاخر بالنضال والذي يؤكد مدى عزيمة هولاء المسلمون في هذه البقعة من الأرض ومدى تحملهم للاضطهاد مثلهم مثل كثير من الأقليات الإسلامية، ولكنه الإيمان المزروع في القلوب والذي يمد هؤلاء بالصبر على الكيد والمكر والدهاء ومهما طال الظلم فالنصر للصابرين المجاهدين.

المصادر :

١- ناصر الدين النشاشيبي (عربي في الصين) الناشر/ دار القلم، مصر ١٩٦٥م.

٢ - مجلة العربي الكويتية، الأعداد: (٢١٧ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٣٦٥).

٣ - مجلة الأزهر القاهرية، أعداد : صفر ، ربيع الأول، جمادى الأولى، جمادى الآخرة سنة ١٤٠٦هـ.